

أدب الرسائل الديوانية في عصر الأمير عبد القادر

عبد القادر مزمري⁽¹⁾

مقدمة

إنّ فن الكتابة بدأ بعبد الحميد الكاتب وانتهى بابن العميد، وأسس لها القاضي الفاضل"، وهذه المقولة تنطبق على الرسالة المتميزة أما إذا تحدثنا عن الرسالة. فهي فن من الفنون الأدبية القديمة التي عرفها العرب في تاريخهم الجاهلي، واعتمدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في مخاطبته ملوك عصره لتبليغ الدعوة الإسلامية وقد ظهر هذا النوع من الأدب من رحم النثر الإيجازي ليصير نثرا تفصيليا، إذ حدث هذا الانتقال بسبب امتداد ملك العرب وسلطانهم، واختلاطهم بغيرهم، وتحضرهم، وتنظيم شؤون دواوين حكمهم.

ظهر هذا الفن بشكل مغاير على ما كان عليه النثر الإيجازي، فعمد فيه أصحابه إلى التطويل في المواضيع، واعتماد الترادف بأسلوب جذاب، وعبارات مسجوعة فجاءت الرسائل مع عبد الحميد الكاتب تشبه الكتب في معالجة موضوعاتها معالجة تفصيلية، وظلت الكتابة محافظة على ميزتها المثقلة، حيث أن الأدب في هذا العصر عرف ضعفا كبيرا تميزت فيه الكتابة النثرية بالركاكة والبساطة والإكثار من الزخرف اللفظي وألوان البديع واستعمال الألفاظ العامية والدخيلة جراء احتكاك العرب بلغات غيرهم كالتركية والفارسية وانفتاحهم على حضارات أخرى وابتعد الكتاب عن النثر الأدبي واهتموا بالنثر العلمي المتأدب وكان منها الرسائل الديوانية التي حفلت بأنواع البديع حتى أصبحت صناعة

⁽¹⁾ Ecole Normale Supérieure de Mostaganem, 27000, Mostaganem, Algérie.

محضة في عصر ابن العميد¹ الذي عمد إلى الاهتمام بالمبنى أكثر من اعتماده على المعنى، محافظا في ذلك على أساليب اللغة العربية الرصينة.

إلا أن الفضل في تأسيس الرسائل الديوانية، وتمييزها عن غيرها يعود إلى القاضي الفاضل في عصر الدولة الأيوبية، حين راح يهتم بفن الرسالة، كما اهتم بها حكام عصره وخصصوا لها ديوانا خاصا أسموه "ديوان الإنشاء"، وجعلوا رئيسه من كبار الكتاب والأدباء. وقبل الخوض في الحديث عن الموضوع، علينا أن نتعرض إلى مفهوم الرسالة ولو بإيجاز.

فن الرسالة

من بين الأجناس الأدبية التي عرفها ميدان النثر الأدبي أدب الرسائل، وهو فن من الفنون التي رافقت مناحي الحياة السياسية والثقافية، والاجتماعية لما له من مكانة بالغة الأهمية في التعبير عن شتى مناحي هذه الحياة المادية، والروحية والاستراتيجية. وقد تطور هذا الفن منذ القدم بتطور العصور والأزمنة، حيث تدرجت مراحلها في التطور والتعقيد ولعل أول ما يتبادر للمتلقي هو رسائل عبد الحميد الكاتب الذي اتخذ كنموذج رسم معالم الرسائل الأدبية كفن مستقل بذاته.

وإذا كانت الرسالة هي ما يكتبه المرسل الى المرسل إليه، فإنها تحمل في طياتها كثيرا من المسرات والأشواق، وحتى الأحزان والمأساة، ويسمى ذلك بالرسائل الإخوانية، أما إذا كانت الرسائل تعني بتصريف شؤون الحكم، وتنظيم أمور السياسة فتسمى الرسائل الديوانية أو السياسية، وهناك ضرب آخر من الرسائل وهو ما يطلق عليه بالرسائل الأدبية، وهي التي تعرض قضية من القضايا الأدبية، أو إبداء رأي الكاتب نحو موقف معين كرسالة ابن المقفع في الأدب الكبير.

فالرسالة إذن هي فن قديم في آداب الأمم وقد اهتم العرب بها اهتماما كبيرا، إذ إنهم نوعوا من أغراضها ورسومها مناهجها وميزوا مواضعها، واستحدثوا لها قواعد². ومنه فإن

¹ هو أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد ولد بمدينة قم الفارسية سنة (299 هـ - 912م) وتوفي سنة (360هـ - 790م) زعيم مدرسة الصنعة اللفظية وهو أشهر كتاب الرسائل عاش في بداية العصر العباسي.

² ينظر: الطاهر محمد، توات (1993م). أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص. 70.

فن المراسلة يدل على معنى واحد، وهو التخاطب بالكتابة و"التراسل بهذا المعنى قديم في آداب الأمم، وقد عني العرب به عناية خاصة فنوعوا أغراضه، وحددوا مناهجه، وميزوا أنواعه واستخلصوا قواعده وأصوله، وإذا كان مفهوم الرسالة يتلخص في ذلك فماذا نعي بالرسالة الديوانية؟

الرسالة الديوانية

هي تلك التي تعني بتسيير شؤون الحكم حيث يرسلها الديوان، أو الإدارة إلى هيئة من الهيئات سواء أكانت مدنية، أم عسكرية، ولقد استخدمها العرب قديما في تسيير شؤون حكمهم حيث شملت موضوعاتها شؤون السلطة وعلاقتها بالرعية، فهي تعتمد على "الكلام، وترتيب المعاني من المكاتبات، والولايات، والمسامعات، والإطلاقات، ومناشير الإقطاعات، والهدن، والأمانات، وما في ذلك ككتاب الحكم وغيرها" (توات الطاهر محمد، 1993م)، وقد اتفق النقاد على ألا تكون الرسائل الديوانية مثقلة بالأساليب الشعرية المعتمدة على المحسنات البديعية والزخرف اللفظي بالقول: "وجب أن ننزه المخاطبات الرسمية عن المنتور المقفى لأن أساليب الشعر تجنح إلى استعمال العواطف، وخلط الجذ بالهزل والإطناب في الأوصاف، والإكثار من الأمثال والتشبيهات والاستعارات، وهو ما لا يستقيم وخطاب الجمهور عند الملوك بالترغيب والترهيب إذ ينافي ذلك وببإينه³. إذا كنا نرى في هذا التعريف الموجز ما يخدم موضوعنا؛ فكيف كانت الرسالة الإدارية أيام حكم الأمير عبد القادر؟ وفيما كانت مواضعها؟"

الرسالة في عصر الأمير عبد لقادر

عرف هذا الفن النثري إبان عصر الأمير انجطاطا من حيث الأسلوب والموضوعات وكان السجع هو زينته وجماله، ومن النادر أن نجد أحدا من الكتاب قد تحرر من قيد السجع، ومن بين هؤلاء القلائل الأمير عبد القادر بن محي الدين، الذي استطاع أن يتحرر في كتاباته الأدبية أحيانا، فقد كان ميالا إلى الترسل مع تبسيط العبارة حتى يكاد يصل إلى أحيانا إلى العامية، أما عن أسلوبه في مؤلفاته فهو متقيد بالسجع السائد في ذلك العصر بين الكتاب والمؤلفين، وما كتاب المواقف الذي كان محاكيا فيه (محي الدين بن عربي) إلا دليل على

³ ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون (1983م). تاريخ ابن خلدون (مقدمة). (م. 2). بيروت: دار الكتاب اللبناني، صص. 1094 - 1095.

ذلك، زيادة على ذلك فإن الأمير كان يتعدد كثيرا عن السجع في مؤلفاته المندرجة تحت النثر العلمي الأدبي ومن ذلك ما وقفنا عليه في (كتابه ذكر العاقل) الذي صاغه بأسلوب واضح رصين متناسق الترتيب فكان درة في الأدب النثري بالجزائر في القرن التاسع عشر⁴، وهي ميزة تحسب له في تنوع أسلوبه.

وبالإضافة إلى ذلك فإن رسالته (وشائج الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب)، اعتبرت رسالة في الفنون الحربية، فهي قد لخصت الأنظمة والقوانين العسكرية وأنواع المكافآت والعقوبات التي سنها الأمير لجيشه الفتي، بأسلوب يكاد يخلو من السجع، وهي تبين مكانة الأمير في الأمور الحربية وبعد نظره في أمور الجيش وهو حديث عهده بالحرب، ما جعل المهتمين بالترجمة يولونها اهتماما، فكانت أول ترجمة لهذه الرسالة باللغة الفرنسية، وقد ترجمها (ورسيقي) في كانون الأول عام 1948 وحرص على طبعها الجنرال (ماري) تحت عنوان: "قوانين الأمير عبد القادر إلى جيشه النظامي" وكانت أول طبعة عربية للكتاب في أدار 1848 مع مقدمة باللغة الفرنسية ثم توالى بعد ذلك طبعات الرسالة، وكان آخرها طبعة الأستاذ المحقق "محمد بن عبده" (السيد فؤاد صلاح، 1985م).

الرسالة الإدارية في عهده

إنّ الحديث عن الرسالة في عهد الأمير عبد القادر يقودنا إلى الحديث عن الكتابة في هذا العصر، وعن واقع الأمة آنذاك أما عن النثر الفني في هذا العصر فكان منحطا في أسلوبه، وموضوعاته، وكان متحررا من قيود السجع حتى في كتاباته الأدبية أحيانا، ولم تستثن القاعدة هنا كتابات الأمير عبد القادر الأدبية فقد كان يميل في رسائله إلى "الترسل مع تبسيط العبارة حتى يكاد يصل إلى أحيانا إلى الأسلوب العامي وإذا انتقلنا إلى أسلوبه في مؤلفاته المشهورة، فإننا نجده قد يلتزم السجع غالبا كما فعل في كتابه المواقف ولعل محاكاته (لمحي الدين بن عربي) وهو يسجع في كتبه الصوفية هو الذي حمله على السجع"⁵، إلا أن ذلك لم يمنع من أن يكون أسلوب الأمير واضح العبارة متناسقا في أفكاره فكان قمة في الأدب النثري بالجزائر في القرن التاسع عشر.

⁴ ينظر: الأمير عبد القادر، بتاريخ 5 جويلية 1970، جوانب من شخصيته ومختارات من مؤلفاته. (ط. 2). عدد خاص من مجلة آمال، (8)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، صص. 21، 23.

⁵ المرجع نفسه، ص. 21-22.

وما ميز الكتابة في هذا العصر ضعف اللغة العربية لأنه "لما أصبحت اللغة التركية على كتابة الدواوين، وأصبحت رسمية في الحواضر، والأمصار أخذ شأن العربية في الاضمحلال، وتناقصت الرغبة في صناعتها، وقل النابغون فيها، وعجز الكتاب أن يكتبوا من إنشائهم فوضعت دواوين متابعة تشمل عدة صور من المكاتبات المعتادة يستعير منها المرسل صورة تناسب غرضه" (الإسكندري وعناني، 1925م). ذلك من الأسباب التي جعلت اللغة العربية تعرف التراجع في رصانتها.

رسائل الأمير عبد القادر

من الآثار التي خلفها الأمير عبد القادر في النثر الفني آنذاك مجموعة من الرسائل منها: (وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب) وهي رسالة تتضمن ملخص الأنظمة، والقوانين العسكرية، وأنواع المكافآت، والعقوبات التي سنّها الأمير لجيشه، وهي رسالة تدل على مكانة الأمير وحكمته، وحسن تدبيره، وبعد نظره.

(المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد) وهي عبارة عن رسالة رد فيها ردا مطولا على الطاعنين في الدين الإسلامي، حيث فضح فيها أولئك الذين عميت أبصارهم عن كل فضيلة في الدين الحنيف، ورضوا بإتباع أديان غيرهم متأسيين في ذلك ببدع المارقين، وأهل النفاق، وهذا الكتاب بما فيه من حجج دامغة، وأدلة منطقية ساطعة يثبت وجود الخالق العظيم لهذا الكون الهائل، ويبرهن على مدى صحة الكتب السماوية وصدقها⁶.

(ذكرى العاقل وتنبيه الغافل) وهي رسالة مطولة تضمنت مسائل التاريخ والفلسفة والدين والإصلاح الاجتماعي، وهي رسالة في الحكمة والشريعة وتوافقها. كما أن للأمير رسائل متنوعة وكانت في معظمها ردا على أسئلة مجالس العلماء التي كانت تردده من كبار علماء الإسلام ومفكري الغرب، وقد تمثلت في:

- رسائل سياسية كان تبادلها مع ملوك الدول ورؤساء حكوماتها.

- رسائل سياسية موجهة إلى الزعيم اللبناني يوسف بك كرم.

- رسائل فكرية تبادلها مع الأسقف الفرنسي (دي بوش)، الذي كان أسقف مدينة الجزائر آنذاك.

- ردود الأمير عن العشرينين سؤالا التي وجهها ليه الجنرال (دوماس).

⁶ ينظر: فؤاد صلاح السيد: الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا. الجزائر، م. س، ص. 95.

وأما عن واقع الأمة، وكما لا يخفى أن المجتمع الجزائري كان يعيش في هذه الفترة حملة مسعورة من قبل العدو الفرنسي، الذي أراد طمس كل مقومات الشعب الجزائري، وإبادته عن آخره، وهذا من بين الأسباب التي حالت دون وصول العمل الأدبي للأمير عبد القادر كاملا، بالإضافة إلى الانهماك في الحرب وضياح معظمه، واستيلاء العدو على مكتبة الأمير الكبرى في عاصمته الثانية (الزمالة) التي أودع فيها مذكراته وبعض من أشعاره.

رسائل الأمير عبد القادر الديوانية

لقد نوع الأمير في رسائله بين الحدة واللين في التعبير، وذلك حسب مقتضى الحال، وهو يخاطب المستعمر ينتقي من الألفاظ ما يكون فيه وقع عليه، وحين يخاطب، أهله وأصدقاءه تراه ينتقي منها ما يعكس إنسانيته النبيلة ومن الرسائل التي كتب نذكر: رسائل موجبة للأهل وللدولة الإسلامية: كرسالته لأهل فجيج في 17 شوال 1251 هـ الموافق لـ 05 فيفري 1836 م، ورسائل لمركز الخلافة العثمانية، ورسالته للصدر الأعظم في 9 شوال 1257 هـ/الأربعاء 24 نوفمبر 1841 م، ورسالته إلى الإيالة التونسية، ثم رسالته للوزير خير الدين التونسي في (1248 هـ/1886 م).

أما الرسالة الموجبة للعدو وهي رسائل حربية نذكر منها: رسالته للجنرال ديميشال، ورسالته لملوك أوروبا، ورسالته لملكة إسبانيا، إيزابيلا الثانية، ثم إنّ هناك رسائل موجبة للأصدقاء الفرنسيين نذكر منها: رسالته للأمير لبواسوني.

نماذج من رسائل الأمير

لقد تبادل الأمير رسائل كثيرة مع شخصيات أوروبية مختلفة دارت مواضيعها في السياسة وشؤون الحرب، وطلب المساعدة من أصدقائه للحد من الهمجية الاستعمارية التي فرضها العدو الفرنسي على الشعب الجزائري، وبذلك أراد أن يشرك الأوروبيين في ثني عزيمة فرنسا عن همجيتها، فراسل حكام وملوك العالم سعيا منه إلى كسب تأييد الرأي العام الأوروبي والعالمي، كما أنه نوع في رسائله فجاءت على النحو الآتي:

- طلب الدعم والتأييد والعون باسم الأخوة الإسلامية من العثمانيين شاكرًا فضلهم في بعضها، ومهنئًا في أخرى.

- التشاور وتبادل الآراء مع سلطان المغرب قبل استسلام هذا الأخير ورضوخه للشروط

الفرنسية.

- توضيح موقفه وموقف الإسلام من أحداث فتنة دمشق في رسالته إلى المجاهد الإمام محمد شامل (محمد بن عبد القادر الجزائري، 1964م).

رسالته إلى ملكة إسبانيا إيزابيل الثانية

لم يستهل الأمير رسالته بالبسملة والحمدلة، والثناء على الله كما كان يفعل مع المسلمين، إنما بدأها بـ: "إنه من أمير المسلمين عبد القادر بن معي الدين، أعانه الله أمين إلى عظمة جنود إصبنيول (...). السلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته" (بوعزيز، دو إيبالزا، 1985، ص. 51)، ثم وصف قوة الإمبراطورية الإسبانية عبر التاريخ ووقوفها إلى جانب القضايا العادلة، وهي عبارة عن استمالة الملكة وكسب عطفها والوقوف إلى جانب القضية الجزائرية فقال:

"فإن جنس إصبنيول هو الجنس العظيم الذي كانت تظهر منه الأفعال العظام في الزمان القديم وهم أهل المملكة، العظيمة والرياسة الفخيمة، ولأن أنه لا يخفاكم حالنا وأمرنا من الفرنصيص فلا نعرفكم به، فإنكم عارفون بكل شيء من أمورنا وأمور الفرنصيص." (بوعزيز، دو إيبالزا ميكل، 1985، ص. 51)

ثم يذكرها بأنها لا يخفى عليها ما تفعله فرنسا في الجزائر. فيقول "وأردنا من دولة إصبنيول أن تتدخل في كلام الخير: "فإن جعل الله الخير على أيديكم تكون المزية لكم عندنا وعند الفرنصيص وإن قدر الله برجوعنا إلى الوطن نكون معكم كما تحبوا إن شاء الله ومازال الملوك من قديم الزمان يمشون في الخير بين المتعادين حتى يوقفوا بينهم" (بوعزيز، دو إيبالزا ميكل، 1985، ص. 51)، ثم يختم رسالته بعد أن شرح أمر الأمة بالقول: "السلام والفلاح للذي يتبع طريق الحق ورحمة الله وبركاته" (بوعزيز، دو إيبالزا ميكل، 1985، ص. 68)، وهي خاتمة لا تكون إلا لغير المسلمين.

رسالة الأمير إلى أهل فجيح⁷

دار مضمون هذه الرسالة حول الدعوة إلى الجهاد والحث عليه في سبيل الله والوطن، وهو يخاطب أهل (فجيح) قد رسم نقاطا بعينها يريد من ورائها إثارة الحمية الدينية

⁷ فجيح منطقة بالغرب الجزائري كانت تابعة لسلطان المغرب أيام الاحتلال الفرنسي.

في النفوس، وإيقاظ الروح القبلية، كما أنه وجه خطابه إلى أشرف القوم، وعلمائهم وأعيانهم، وقد استهل رسالته إلى أهل فجيح، كما كان يفعله الخلفاء في العصر الإسلامي في تضمين رسائلهم اقتباسات من الآيات القرآنية، التي كان دورها التوصية بالتقوى وضمان لعدم الردة" (خليف مي يوسف، 1997م)، في طلب العون وتلبية نداء الجهاد في سبيل الله: "أصلحك الله حالا واستقبالا، وسدد رأيكم ووفقكم لأمارات العصمة جلالا وجمالا، وسلاما على محافلكم السامية، يعم مرابعكم الناهية ويتحفها بتحفة الكرامة الباهية ورحمة الله وبركاته ما ترقت الطوالع بأضوائها زاهية" (تكور فضيلة وآخرون، 1983م، ص. 99)، ثم ينتقل إلى الإفصاح عن غيرته على الدين منتظر مشاركة أهل فجيح الجهاد فيذكر خصالهم بالقول:

"أما بعد فإن الغيرة الإسلامية تحقق لأمثالكم والاعتياضات الأنفية تجب على أقوالكم وأفعالكم وكيف لا والعدو الكافر -أذله الله- جال في بلاد المسلمين وصال، وسعى في خراب مدنهم وقصورهم بمساجدها المعدة للغدو والأصالح، وحدت شوكته على القريب والقاصي وتضافرت جيوشه على إجلاء المطيع منهم والعاصي، وأجمع عزمه وكيدته في جميع بره، وفاض ضوء الإسلام ظلام ليله حتى كاد يخفى جدول فجره." (تكور فضيلة وآخرون، 1983م، ص. 99)

على هذه الوتيرة يمضي الأمير في استعراض الأحداث وهو يخاطب القبائل المسلمة ويشحذ همها لمقارعة العدو الكافر الذي داس على كل مقومات الشعب ودنس مقدساته، وهو يذكرهم أنه دافع على هذه المقدسات لرد العدو الغاشم فيقول: "وكم اشتغلنا بمدافعتة مرارا، وتداولنا معه في الحروب سرا وجهارا إلى أن انكسرت الرماح، وتدنست بنادق الرماح، وقضت الصناديد نحوها، وتعمدت الفرسان نصيها ولغوها، ولازلنا على ذلك التدافع والتناول إلى أن تنفرد السليقة تنعدم دور المناصب المنيفة غير أننا خشينا تفاقم الأمر وتزايدته من قطر إلى قطر فنود من صلاح رأيكم الناجحة، وسداد إشارتكم الصالحة أن تزيدوا في إخوانكم القوة السادة وتنشروا أسرهم باسترسال المادة" (تكور وآخرون، 1983، ص. 99) وبذلك يكون الأمير عبد القادر قد وصل إلى غرضه وهو بث روح الحمية في النفوس، و مساعدة القوم في تخليص الوطن من هيمنة المستعمر وكان لذلك وقع في نفوسهم عندما قال: "ونجدتكم وسياستكم في تدبير صنایعكم المحكمة مع غلظتكم على الكفار وشدتكم في ثبات الصفوف الحربية معلومة عندنا بالضرورة حسبما

دونت خصالكم الحميدة، وأفعالكم الرشيدة في تاريخ وهران ووقائعها" (تكور وآخرون، 1983، ص. 99).

وبهذا يكون الأمير قد قصد في رسالته أشرف القوم، لأنه يدرك أن الأمر بأيدي رؤساء العشائر إذ خاطبهم بالقول: "نرغب في حمد سرائركم أن تجمعوا جموعكم وتكونوا في قصد إعاتتنا رجالا وركباناً لتتم لنا المزية، دينا ودنيا، وتحظوا بالخطوة العليا، ويكون ابتداء قدمكم إن شاء الله عقب عيد الأضحى أول أبريل بعد أن يقدم إلينا أعيانكم لنستشيرهم في الكيفية والهيئة التي يحصل المراد منا" (تكور وآخرون، 1983، ص. 100)، كما أنه دعم رسالته بالأحاديث النبوية لشريفة، واقتبس من الآيات القرآنية الكريمة، جاعلاً في الحسبان أن الذكر ينفع المؤمنين، حينما ذكرهم بالقول: "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، والمسلمون كالجسد الواحد، يتألم الجميع بتألم البعض، وتعاونوا على البر والتقوى، إنما المؤمنون إخوة يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض..." (عبد الرزاق بن السبع، 2000م، ص. 54) ويختتم رسالته بالقول:

"ولا يختلف أحد من صناديدكم من الفرسان والعساكر، وإن اكتفيتم بنظر المكتوب ولم تجيبوا داعي الله فهذا الواجب في حقنا وحسابنا جميعاً على الله، والله المستعان وعليه التكلان، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أئيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم".
(تكور وآخرون، 1983، ص. 99)

نموذج من رسائل الحرب

راسل الجنرال دي ميشال الأمير عبد القادر ثلاث مرات إلا أنه لم يلق الرد منه إلا في آخرها. ذلك أنه كان غاضباً عما يفعله هو وبلاده بالشعب الجزائري في حروبهم الهمجية، وتعدّيهم له والتنكيل بهم، وكان قد أوقع جيش الأمير بأسرى في هذه الحرب، ما دفع الجنرال إلى عدم الملل من مكاتبة الأمير لمعرفة مصير الأسرى من جنده، ونظراً للروح الإنسانية التي عاشها الأمير في كنف الدين الإسلامي الحنيف فإنه رد على الجنرال بالقول: "فقد وصلنا كتابكم، المتضمن أفضل النصائح فقدردناها وعلمنا أنكم تحثوننا في كتابكم، الثلاثة على الإفساح عن الأسرى وتندبون حظهم، مع أننا نعتني بشأنهم عامة الاعتناء، والإفساح عنهم ليس له أهمية لدينا غير أن الحالة التي نحن بها لا يسمح لنا أن نردها بدون

فدية فإذا رغبتم في الاتفاق أقبل تسليم الأسرى إليكم عند المعاهدة بيننا" (محمد بن عبد القادر الجزائري، 1964م، ص. 318) من خلال ذلك بين الأمير عبد القادر أنه أمام شعب كما أنه لا يتنازل عن قيمه الحميدة وإنسانيته النبيلة فهو لا يخاف العدو في الحرب، فهو مؤمن بقضيته كما يؤمن بإحدى الحسنين، إنما النصر أو الاستشهاد.

ختاما فإننا أمام بعض من النماذج التي تظهر ما للرسائل الرسمية (الديوانية) من تأثير واضح بالحياة السياسية، والاجتماعية السائدة في تلك الحقبة، والتي أظهرت في مجملها تلك المظاهر الخلقية، والحضارية التي اتصف بها الأمير عبد القادر من خلال معاملة الناس وإعطاء لكل ذي حق حقه، كما أنه بالإضافة إلى حملته للسيف في مقاومة العدو، استطاع أن يحمل القلم للرد عن خصومه، وحاز على كثير من الحلفاء ممن كان يستشيرهم، ويلجأ إليهم في وقت الشدائد، ما يبين أسس تلك العلاقات التي كانت تربط بين الأمير والبلدان المختلفة، في إقامة السلم أو الإقرار بالحرب.

بييلوغرافيا

- الإسكندري، أحمد وعناني، مصطفى (1925م). الوسيط في تاريخ الأدب العربي وتاريخه. (ط. 5). مصر: مطبعة المعارف، ص. 22.
- بوعزيز، يحي ودو إيبالزاميكل (1985). الحديث في علاقة الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكرية بمليبية. (ط. 2). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص. 68.
- جبور، عبد النور (1979م). المعجم الأدبي. (ط. 1). بيروت- لبنان: دار الملايين، ص. 122.
- الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، صص. 81-82.
- خليف، مي يوسف (1997م). النثر الفني في الصدر الأموي. دار قباء للطباعة والنشر.
- السيد فؤاد، صلاح (1985م). الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ص. 92.
- الطاهر محمد، توات (1993م). أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن .
- عبد الرزاق بن السبع (2000م). الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه. الباطنين للإبداع الشعري.
- محمد بن عبد القادر الجزائري، (1964م). تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر. (ط. 2). (ج. 2). (حقي ممدوح حقي، ش وتغ.). بيروت-لبنان: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، صص. 317-318.